* * *

سبعٌ برزنَ من الصفوف تواركاً ... للأحقاتِ الشوط حدّ ممهّدِ
نافسنَ فتيانَ الحِمَى فوردنَ ما ... يَردُون والعرفانُ أسمحُ موردِ
نعم التنافسُ والمطالبُ حقّهُ ... فهو السبيل الى العلى والسُّؤْدَد
وهو المُقِيلُ لكلّ شعبٍ عاثرٍ ... وهو المُعِزُّ لكلّ شعبٍ أيّد

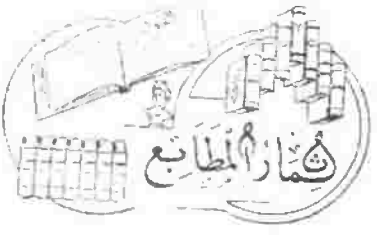

ديوان الرصافي

نظم معروف الرصافي — ٥٢٤ صفحة بحجم ٢٤×١٧ سم.

طبع بمطبعة المعرض ببيروت

يمثّل معروف الرصافي في العراق الدور الذي مثّله المرحوم حافظ ابراهيم في مصر، فكلاهما شاعر اجتماعي تظهر في أشعاره حالة وطنه، كلاهما صورة لشعبه بيقظته ورغبته في التحرُّر وحيرته عند مفترق الطرق. وكما كانت تتردد على شواطىء النيل صيحات اصلاحية وتثب حياة فكرية تتناول موضوعات شتى وحافظ يوقّع هذه الصيحات على قيثارة الشعر، كانت تتردد أيضاً على شواطىء دجلة صيحات أخرى وتوشك حياةٌ فكرية ناشئة في النهوض، والرصافي يوقع تلك الصيحات على قيثارته. وكما عُني حافظ بالأسلوب الى درجة التخلّي عن المعنى الجيّد اذا لم يواته اللفظ الجزل، عُني الرصافيّ بذلك الى درجة محدودة وإن كان في أحايين يلجأ الى تعابير ضعيفة وأساليب مهلهلة خالية من المعنى والشعر.

وأنا لا يهمني من أي ديوان شعري إلاّ المعنى والشعر، الفكرة والفن، يتلاقى مع ذلك كله الأداء البليغ وان كان في أبسط الاساليب وأرقّ الألفاظ بحيث

لا تشكو اللغة فيه ضعفاً ، وهذا ما عُنيت بالبحث عنه فى ديوان الرصافى . فاذا ما تركنا الشعر الاجتماعى جانباً لاننا اذا شئنا التكلم عنه اضطرنا ذلك الى التدقيق فى حالة العراق الاجتماعية وتأثيرها فى شعر الرصافى ثم تأثير شعره فيها ، والرصافىُّ فى هذه الناحية جدير بزعامته هنالك ، ثم تركنا وراء ذلك حريقياته ومراثيه ونسائياته وتاريخياته وسياسياته وحربياته ووصفياته وما يماثلها من أبواب الديوان ولجأنا الى ونياته وجدنا أفقاً يتنفس فيه الشعر وجوّاً يحلق فيه حيث يتمكن القارىء مع الشاعر من النظر الى الخفىّ عن أعين الناس والتعبير عما ليس فى استطاعتهم التعبير عنه . وهذا الباب من ديوانه أروع أشعاره . واني لأسمعه فأظل معجباً بما صوّر وهو واقف أمام مشهد الكائنات ، إذ يرينا نفسه فى صورة بديعة الألوان والظلال قائلا :

كأنى وعلوىّ العوالم عاشقٌ أطلّ من الأعلى عليه حبيبُ
فقام له مستشرفاً وعينه تشدُّ ضلوعاً تحتهنّ وجيبُ

وانه لحكيمٌ عميق النظرة ، بعيد غور الفكرة ، اذا ما تجرد بشعره من دنياه ، وحلّق ببصره الى أبعد آفاق الكون فاسمعه وهو يقول :

ألا إن بطناً واحداً أنتج الورى كثيرين فى أخلاقهم لرغيبُ
وإن فضاءً شاسعاً قد تضاربت بأبعاده أيدى القُوَى لرهيبُ
وان اختلاف الآدميين سيرةً وهم قد تساووا صورةً لعجيبُ

ثم يرى من خلال تفكيره معرض النفوس الانسانية تحاول أن تتجلّى فى مظاهر من الفضيلة أو الدعوة اليها فيستشفّ ببصيرته لِمَ تعمل الانسانية على ستر عيوبها ولماذا تتجنبها ، ألأنها عيوب لديها ؟ ! ... كلاّ ! فان الانسان ليعمل الخير لا لذاته ولكن ليعرف الناس انه قد عمله :

ويجتنب المرءُ العيوبَ لأنها لدى عائبيه لا لديه عيوبُ

وفى قصيدته « العالم شعر » ألوان شتى ، منها العابسة المتجهمة ، ومنها الضاحكة المرحة ، وبين هذه وتلك يبدو الرصافى لاعباً بالألفاظ والمعانى .

وانه ليقف أمام اللانهاية شاعراً غمره الكون بأسراره وجرّده من أدران الحياة وخلّصه من صخبها وضجتها فيقول :

إنْ تسائلْ عنا فنحن هباءٌ ذرّةٌ من صنعة القوى بمذرّهْ

صادفتنا أشعةٌ من حياةٍ فظهرنا وهل لأول مرّةْ ؟ !
كلُّ من جاوز الأشعة منا فهو هاوٍ فى ظلمةٍ مكفهرّةْ
فعلامَ الخلودُ يضمر حقداً وعلام الجهولُ يظهر كِبره ؟!

على انه فى حيرته أمام الكون وأسراره ورغم صرخته :

سارت بنا الأرض الى غايةٍ لنا وللأرض هى المرجعُ
ونحن كالماء جرى نابعاً لكن علينا خَفِىَ المنبعُ
والعلمُ قد أنكر منهاجَنا ولم يبنْ أين هو المنبعُ
خرقتَ يا علمُ رداءً لنا كنا ارتديناه ، فهل ترقعُ ؟
لقد طغت حيرةُ أهل النهى هل فيك يا علم لها مردعُ ؟
كم نشرب الظنَّ فلا نرتوى ونأكل الحدسَ فلا نشبعُ !

يعود من هذه الحيرة ممتلىء النفس فيّاض الشعور . واننا لنشعر إذ نشرب معه من كؤوس الظن ونأكل من الحدس أننا قد ارتوينا من « الكونيات » ارتواءً يسرع بنا الى الظمأ كما يظمأ الشارب من ماء البحر فهل يبلُّ صداناً شاعر العراق الكبير بمثل هذه الكؤوس ؟

الأسلاك الشائكة — العبرات الملتهبة — على مذبح الوطنية

ثلاث مجموعات نظمها الشاعر اللبنانى البرازيلى الياس قنصل — عدد صفحاته على التوالى ٦٤ — ٦٩ — ٧٦ بحجم ١٣ × ١٨ سم .

الياس قنصل شاعر رقيق تفيض بنفسه شاعرية وثّابة لكنها لا تقوى على المضىّ كثيراً لضعف قواها اللغوية وثروتها اللفظية ، فهو لا يعنى العناية الواجبة بأسلوبه ، ولولا حرارة شعرية تصهر ألفاظه لما تمكّن من أن يدعو المطّلع على شعره الى الاعجاب.

هو كهلٌ فى تفكيره رغم انه حدث فهو فى دواوينه الثلاثة ساخط على المادية المتغلبة على عواطف الناس ومن أجلها يسخط على العالم ، ساخر من عبودية الناس ، باكٍ على الشرق عامة ولبنانه خاصة ، على أن أحسن هذه الدواوين ديوانه « الأسلاك الشائكة » وفيه يقول :

تحدثني نفسي أحاديث جمّة فأسمع أقوالاً وأترك أقوالا
وتلفت أنظاري الى المال والغنى وتطلب مني أن أكدّ وأحتالا
وأسعى لتحصيل النضار فإنه يبدّل أحوالاً ويجلب إجلالا
دعيني أيا نفسي ، دعيني فانني أديب ، ولم أخلق لأجمع أموالا

ويقول :

أبكي على وطني ، وكم من شاعرٍ مثلي عليه دموعه تنسابُ
فالظلم بين ربوعه مستوطن والشهم يخضع ، واللئيم مهابُ
والنذل يتخم والأبيّ بفاقة والوغد ينجو والكريم يصابُ
ومتى الزمان أدار ظهر محنّه وليتّ على أمر الأسود ذئابُ

ولا يقال مهاب وانما يقال مهوب ومَهيب ، ويصح له أن يقول يُهابُ ، ولعل ذلك وسواه خطأ مطبعي يعنى بالتدقيق فيه في دواوينه المقبلة . ولنا عند تقدمه في العمر ونضوج شاعريته أمل كبير يدعونا الى الاستبشار .

مناجاة

قطعٌ متخيَّلة تشبه في تسلسلها الرواية تتضمن تحليلات عامة في قالب غرامي وأسلوب من النثر الشعري ، بقلم حسين عفيف المحامي — ١٥٢ صفحة بمقاس ١٧ × ١٢ سم . — مصدَّرة بصورة طبيعة فنية بالألوان من ريشة الفنان المصري شعبان زكي — طبع بمطبعة سابا بمصر — ثمنه ٥ قروش

عند ما كتب أمين الريحاني وجبران خليل جبران ما كتبا بأسلوبهما المعروف كان ذلك الاسلوب في زعم المحافظين جنوناً وهَوَساً وعُجمة ولُكْنة وغير ذلك مما وسعت معاجم اللغة من ألفاظ الكراهية والتنفير ، وما كان أسلوبهما إلاّ تجديداً في النثر العربي أو السجع الذي كان يحمل بين ثنايا ألفاظه موسيقى ميتة ، فلما خرجا على هذه الاصول وحطما السجع المهمل وحافظا على الموسيقى وبعثا فيها الحياة تبعهما

على الأثر كثيرون ، وظلت هذه القافلة فى ربوع العالم الجديد تبدع وتغرّد بين نباح الساخطين وصخب المرورين الى أن تقدمت القافلة من الواحة فتقدم ذلك النوع من النثر وسرى الى النواحى التى انبعث منها السخط . وكتاب «مناجاة» الذى ألّفه الشاعر الناثر حسين عفيف المحامى نفحة من هذه النفحات .

والذى يعنينا فى هذه المجلة من هذا الكتاب انه صورة لسيطرة الشعر وموسيقاه على النثر ودليل على قدرة الشعر فى تأدية أي موضوع مادام الكاتب يمزج عواطفه بتفكيره . وهو فى أسلوبه قصيدة منظومة من العاطفة المشبوبة والتفكير الهادىء ، وبأسلوبه الاستقرائى يستطيع أن يجتذب بعض القراء فى ناحية آرائه . ويبدو فى كثير من مقطوعات هذا الكتاب تأثّر المؤلف بآراء جان جاك روسّو فى الرجوع الى الطبيعة ، فهو جدٌّ متشوف الى الحياة بين أحضانها حتى دعته تلك الرغبة الى اهداء كتابه الى « رعاة الغنم » لأنهم أول الناس اتصالاً بالطبيعة وأكثرهم تمتّعاً بها وفناءً فيها .

ولقد شابه المؤلف فى أسلوبه شاعرَ الهند طاغور فى كتابيه « هِبَة العاشق » و « جتنجالى » ووُفّق فى مزج الفلسفة والشعر فى اناءٍ واحد فلا يشعر الانسان بشيء من الجفاف والخشونة فى الاسلوب ، وحافظ محافظة ظاهرة على الموسيقى ، إلا أن له نطرفاً فى بعض الآراء : فهو يصارح حبيبته بانه لا يقنع بحبها بينما يطلب منها أن يكون لها قلب واحد فيقول « لك قلب ياحبيبتى ولى قلوب ، فأحبينى إن شئت وحدى ، أما أنا فلا بد أن أشرك فى قلبى غيرك » ويبرّر ذلك بأن الحسن قد قُسِّم بين الحسان « وما الجمال الكامل إلا مجموع ما فيهن من جمال . فدعينى اذاً اتقلب بين الحسان حتى لا يفوتنى شيءٌ من الجمال الذى من أجله أحيا ، ولا تكلينى الى عبث الفناء قبل أن أحقق منه الامانى فان حياتى حلم لا يعود » . وأنا لا أرى هذا الرأى لأن الانسان لا يحب أو لا يحصر عاطفته فى امرأة بعينها إلا اذا وجد عندها ما يتوق اليه من أمثلة عليا فى الجمال ، لأن القلب البشرى يظلّ يتنقل باحثاً عن مهواه حتى يجده عند قلب بشرى آخر جمعت فيه آماله وأحلامه وتبقى كلُّ حالاته الأولى بعيدة كل البعد عن أن تسمّى حبّاً لأنها وليدة حرمان وعدم استقرار . فحبيبته التى يناجيها ليست فى اعتقادى الحبيبةَ التى انتهى عندها قلبه من رحلته لأن الحبيبة التى تملك القلب تستحيل الشهوة عندها ضعفاً لتسمو الروح على الجسد .

فاذا ما نسب رغبته فى إشباع نفسه بحب الجمال فى جميع الحسان الى شهوته عند ما يجد أن اعترافه قد آلم حبيبته وأبكاها فيخاطبها قائلا : « أنا ما أحببتُ سواكِ ، لا ولن أحب غيرك . لى قلب واحد وقد غدا مذ هويتك عبدك . جفّفى دموعك ! كم أحبُّ بكاءك وكم أضنُّ بدمعك ! »

قدست شهواتى فاستسلمت لها فما رأيت كالضعف لذة . ونظرتُ لنفسى فوجدتنى أفنى فى النهاية فتذروني الرياحُ فأحببت الضعف فى نفسى .

لن يتاح لنا أن نتذوّق اللذة إلاّ اذا رضينا بان نتذوق الضعف. هبوا أننا تذرعنا بالقوة فقاومنا شهواتنا حتى حطمناها ، فماذا يبقى لنا بعدها لكى نعيش ! شهواتنا! هل نحن إلاّ شهواتنا ؟! »

لا ، لسنا إلاّ شهواتنا ، لكن فى دائرةٍ وإلى حدٍّ معيَّن . ونحن اذا تذرعنا بالقوة حطمنا شهواتنا وَجَدْنا أشياء كثيرة تعوض علينا ما ضيعناه.

على أن السبب الذى يحدو بصاحبنا الى هذا القلق هو أن قلبه مفعم بالحب فهو باحثٌ الى الأبد عمن يكون جديراً بافتتاح ذلك الكنز ، ومن هنا أراه يعطف على المتسوّل العاطل ويلقى اللوم على الهيئة الاجتماعية لا عليه لأنها لم تقدم له عملاً ، ويرى أن الفرد « ليس هو فقط الملزم بأن يتقدم للعمل وانما الجماعة أيضاً مُلزمة بأن تتقبل منه ذلك » وانها من ناحية أخرى يجب عليها أن تراقب الافراد حتى لا يغتصب البعض منهم فرصة العمل من غيرهم طمعاً فى استزادة أرباحهم « لأنه من الخير للجماعة أن تعيش فى حالة متوسطة من أن يكون نصفها اثرياء ونصفها عاطلين» إذ أنه « مهما ربحنا من ثرائنا فلا بد أننا كبشر نشعر ولو من طرف عقلنا الباطن بشىء من تأنيب الضمير على اغتصاب حقوق إخوان لنا فى الانسانية وهذا الشعور وحده كفيلٌ بأن يقوّض كل السعادة الموهومة التى يزيِّنها لنا ثراؤنا » . لهذا يتقدم صاحبنا الى حبيبته بما فى قلبه فقط ويعطى العاطل الذى يطارده الناس ثمن الحلوى التى كان سيشتريها لها .

فالحب الذى يغمر قلبه هو الذى يقلق باله أمام الجمال ولا يقف به عند حد ، وهو الذى يجمِّل العزوبة خوفاً من أن لا يعثر على قلب يستحق كل هذا الحب ، ولأن « الزواج لن يُتصوَّر إلاّ فى جوٍّ يسود فيه تقييد العاطفة ، لأن الزواج يفترض الاخلاص المؤبَّد وهو ما لن أقوى عليه ، لأنه على فرض انى تكلفت الإخلاص

الظاهرى فانى فى أعماق نفسى سوف أشتهى وأتطلع الى الجمال المنبعث هنا وهناك خارج حدود زواجى ، ولذا فإننى أخون .. أخون بعقلى» ومن رأيى ان الزواج لن يميت الحب كما يظن هو فيقول لحبيبته «هيّا بنا يا حبيبتى إذاً نتزوج وليمُتْ حبنا لتحيا الجماعة ونحيا نحن معها» لأنى ما دمت قد قدّرت ان من احببتها جديرة بحبى كلّه ولها محطّ آمالى واحلامى وكل تقديرى صحيحاً فان زواجى بها ليس هادماً لحبى ولا داعياً لأن أرى أن العاطفة فيه قد قيدت ، ذلك انها مقيّدة قبل الزواج فى حدود الحب ، فما الذى يلوّنها بلونٍ قاتم داخل حدود الزواج ما دام القلبان اللذان أحبّا هما القلبين اللذين ارتبطا بميثاق الزواج ؟ ! وما أمنية الحب خارج الزواج إلا الاستئثار بحبيبته دون سواه ؛ والاستئثار فيه معناه الزواج .

فالأسباب التى تدعو صاحبنا الى القلق إن هى إلا وليدة ذلك الحرمان من المثل الأعلى الذى ينشده ، وأثر من آثار ذلك القلق الذى يستولى على البيئة المصرية والحيرة التى تعانيها فى شتى المناحى الاجتماعية . وعند ما تهدأ البيئة وتستقر ، او يجد صاحبنا مثله الاعلى سيكون عند رأيى ويكون الجزء الثانى من مناجاته بدء حياة الاستقرار . على ان الذى يعنينا الآن من كتابه تلك الروح الشاعرة التى تبشرنا بنهوض الشعر واجتذاب النثر الى ناحيته فى عصر يرى فيه بعض الناس اننا فى غنى عن الشاعرية ، وما نحن إلا فى غنى عن جمودهم وتحجّرهم ، فان حلت قلوبهم وأرواحهم من عواطفها وميولها وتساميها آمنّا برأيهم ... وإنى لأقدم لصديقى تهنئاتى بهذا التقريب بين الشعر والنثر والفلسفة ؟

حسن كامل الصيرفى

هدية الكروان

نظم عباس محمود العقاد . صفحاته ١٥٨ بحجم ١٢ × ١٦ سم . مع مقدمة وتذييل فى اسم الديوان بقلم صاحبه طبع بمطبعة الهلال بالقاهرة وثمنه خمسون مليماً خلاف البريد

صدر هذا الديوان الرشيق فى منتصف ديسمبر فرحب به الأدباء على اختلاف نزعاتهم لشعورهم بالحاجة إلى الجديد من الشعر وأقبلوا عليه إقبالا حسناً . وقد حسن الشاعر بتسميته « هدية الكروان » تعجيداً للطائر المصرى الصداح وقد خصّه بجانب غير يسير من الديوان وصدّره بهذه الابيات البديعة :

هتفاتُ الكروانِ بالليل تَتْرَى ومَغانى الربيع نُوراً وعِطرَا
وجمالُ الحياة حُبّاً وجسناً وشباباً يفيض عطفاً وبِشرَا
بتّ اصغى لها ، وأقبسُ منها ثم ترجمتُها لمن شاء شِعرَا

ولا شك ان العقاد سيُرضى كثيرين بما يحمله هذا الديوان من الشعر الوجدانى الكثير، فهو الى جانب بات الكروانيات الذى جرى فيه مجرى الشاعر شلى فى مناجاته القنبرة قد نفح قرّاءه بأبواب أخرى طريفة أهمها « غزل ومناجاة » . والملحوظ أن شعر التفكير والتأملات فى الديوان أقلية بالنسبة لغيره ، ولا أعنى بهذا أنى أصغر هذا اللون من الشعر الذى أراه بارزاً فى نظم المتنبى والمعرى ، ولكنى أشير اليه من قبيل البيان لمحتويات الديوان ، وإن كنت أعلم أن جمهرة القراء فى مصر لا تحفل إلاّ بالشعر العاطفى الخاص ولو جاء شعرُ التأمل أقوى وأبدع منه !

وقد تناول النُّقاد من نواحٍ شتى ديوان « وحى الأربعين » بالتحليل فى مجلة (أبولو) وغيرها من قبل . ومهما يكن من وجهات النظر ، فهذا النقد — قسا أم لان — مفيدٌ لتنشيط الحركة الأدبية ، بل انّه مفيدٌ كذلك للمؤلفين،ولا يجوز أن يتأفف منه أىُّ أديب له ثقةٌ بأدبه ؛ ولعلّ ديوان « هدية الكروان » لا يكون نصيبه من النقد والتحليل دون مؤلفات العقاد الأخرى ، وإنى ألاحظ أن ما أُخذ على العقاد من قبل من ناحية جفوة التعابير الشعرية قليلة نظائرُه فى هذا الديوان، مثل قوله :

هان فقدُ المنى التى لم تعدنا وافتقادُ الموعود جدُّ صعيب

وقوله :

ورفعت من طينة الأرض الى عرش الضياء سلّمَ ارتقاء !

وقوله :

يا صديقى لنا البكاءُ ولك الموتُ والسلامْ !

ومن هذا القبيل منظومته المعنونة « البيلا » فأسلوب العقاد لا يصلح لهذا اللون من الشعر ، والأَوْلَى به الشاعر الفكه الرقيق حسين شفيق المصرى أو الظريف محمد عبد المنعم بحكم مرانتها العظيمة على النظم الفكاهى السهل .

وبعد ، ففى الديوان نفائس كثيرة فى أبوابه المختلفة التى تضم أكثر من ألف بيت ، ولعل من أبدعها قصيدته « ضياء على ضياء » التى يقول فيها :

على وَجنتيه ضياءُ القمرْ نظيران يستبقان النظرْ
جمعتُهما أنا فى لثمةٍ أو البدر قبّله فابتدرْ ؟
فما زال يلحظه جهرةً ويغمزه من وراء الشجرْ
ويزعمها قبلةً من أخٍ ففيم إذنْ قطفُها فى حذرْ ؟!
ولو شئتُ ظللتُ وجهَ الحبيـ ـبِ ولو شئتُ كلّلتُه بالزّهَرْ
ولكن كرمتُ فَخُذْ يا قمرْ من الزادِ ما تشتهى فى السفرْ !

فنهنى شاعرنا القدير بإنجابه المتواصل ؟

يوسف أحمد طيرة

صـــدر ديوان

اليشبوع

للدكتور أبى شادى

وعنه بعد الطبع مائة مليم خلاف البريد